العنوان:	دراسات حول ابن سودون و أدبه الشعبي
المصدر:	مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة
الناشر:	مجمع اللغة العربية
المؤلف الرئيسي:	البقلي، محمد قنديل
المجلد/العدد:	ج 27
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1971
الشهر:	ذوالحجة / فبراير
الصفحات:	181 - 190
رقم MD:	235871
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	اللهجات العامية، ابن سودون ، علي بن سودون الجركسي ، ت. 868 هـ.، العصر المملوكي، الأدب الشعبي، دولة المغول، اللغة العربية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/235871

© 2025 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

البقلي، محمد قنديل. (1971). دراسات حول ابن سودون و أدبه الشعبي.مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج 27، 181 - 190. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/235871

إسلوب MLA

البقلي، محمد قنديل. "دراسات حول ابن سودون و أدبه الشعبي."مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرةج 27 (1971): 181 - 190. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/235871

© 2025 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

دراسات

حول ابن سودون وأدبه الشعبى

للأستاذ محمد قنديل البقلى

العربية الأولى أعنى اللغة السليمة عاشت تسايرها لغة ثانية ، أعنى اللغة الدارجة منذ حياتها الأولى لاشك فى ذلك ، إذ الناس ليسوا على قدم المساواة حضارة لغوية ولا حضارة اجتماعية ، أعنى ليسوا على قدم المساواة فقها باللغة الفصيحة ، فثمة متخلفون ليس لهم بصر سليم باللغة ولا إلمام واسع بالحضارة . وهؤلاء المتخلفون لاشك تجرى على ألسنتهم كلمات لاتجرى على سنن اللغة السليمة وهى تختلف باختلاف قربهم أو بعدهم باللغة السليمة وإلمامهم أو قلة إلمامهم بالحضارة الاجتماعية ، إذ أن تحصيلهم اللغوى يكون قليلا ، كما أن ثقافتهم الاجتماعية تكون فى مرتبة دنيا . واللغة السليمة وأعنى اللغة الأولى تستمد من هذين المعينين ، المعين اللغوى والمعين الحضارى.

وهكذا عاشت اللغة العربية الأولى كما تعيش أية لغة أخرى تظل بظلها لغة دارجة تتسع أو تضيق على الضد من حال اللغة الأولى . فكلما اتسعت اللغة الأولى وتمكنت ضاقت اللغة الثانية وضعفت وانزوت ، وكلما ضاقت اللغة الأولى وضعفت اتسعت اللغة الثانية وشاعت ، وهذا ما نلاحظه فى العصور التى مرت بها اللغة العربية . فمع الازدهار اللغوى والحضارى كانت اللغة الأولى هى السائدة المتمكنة حتى على ألسنة الطبقات لايظن فيها إلمام باللغة السليمة . وكانت اللغة الثانية أعنى الدارجة شبه مفقودة أوعلى الأقل لاتجد من يسجل شيئا منها أو يروى طرفا مما يجرى بها ، وعلى العكس من ذلك كنا نجد فى عصور الاضمحلال السياسى والاجتماعى . اللغة الدارجة هى السائدة ، واللغة الأولى تكاد تكون قاصرة على الرسميات فقط . من أجل ذلك كنا نجد التدوين باللغة الثانية له وجوده وله من يرويه وله أحاديثه التى توثر وتكتب .

وإذا كانت هذه اللغة الثانية قطعة من حياة الشعوب العربية سجلت لها ما لم تستطع اللغة الأولى أن تسجله وكتبت خواطر ونوادر وفلسفة ووصفا وزهدا إلى غير ذلك من تلك الأغراض التى كانت تنهض بها اللغة الأولى ، ولكنها لعجزها فى تلك الفترات المنحلة الضعيفة لم تستطع اللغة الأولى أن تسجل تلك الصفحات المؤرخة للحياة الأدبية من الشعوب العربية .

وهكذا كانت تلك الصفحات التى دونت باللغة الدارجة لها قيمتها إذ ليس ثمة غيرها يترجم لنا تلك الحقب التاريخية التى ساد فيها الاضمحلال والضعف . ومن أجل هذا كانت عناية الدارسين فى الأدب الدارج لاحبا فى إنعاش لغته الدارجة ولا حبا فى أن تكون على قدم المساواة مع اللغة الأولى ولادعوة إلى أن نجعل لها شيئا من السيادة إلى جانب اللغة الأولى ، بل إن العناية بذلك جاءت بهذا الدرس وحده ليس إلا . ولو أن ثمة صفحات مكتوبة باللغة الأولى للشعوب العربية أدبا وعلما أيام تلك العهود المنحلة الضعيفةمافكر دارس فى أن ينظر إلى تلك الصفحات التى دونت باللغة الدارجة . ولكن هذا اللجوء إلى التنقيب عن تلك المدونات باللغة الدارجة ودراستها وتحليلها إنما جاء بغية دراسة حياة الشعوب العربية لاحياة تلك اللغة الدارجة . فنحن ندرس ماتضمنته ولا ندرس مفرداتها وتراكيبها ، وإذا اضطررنا إلى دراسة تلك المفردات وتلك المركبات فانما هو نوع من الموازنة بين المفردات والمركبات للوصول إلى معانيها على تلف تلك العصور .

فنحن نعرف أن تلك اللغة الدارجة لغة تظهر لتختفى وهى لغـــة جديدة مع كل عهد وكل عصر ، وما يستخدم منها فى عصر يختفى فى عصر آخر اللهم إلا إذا تشابه العصران نظاما وحكما واجتماعا . فأما إذا اختلفا فما من شك فى اختلاف اللغة الدارجة فيهما . ونحن بتتبع العصور التى كانت لهـا لغة دارجة نقع على كثير من هذا الاختلاف الذى يكاد يجعل لكل عصر لغة دارجة تتميز عن لغة العصر الآخر ، وتكاد تكون الحال أكثر وضوحا مع اختلاف المواطن . فنحن نجد فى كل موطن من مواطن الشعوب العربية لغة دارجة تتميز تميزا واضحا عن غيرها وتكاد تكون اللغة الدارجة لكل إقليم عربى غير لغة الإقليم الآخر ، وهذا يعنى لاشك مانقول من تأثر اللغة الدارجة بالمكان أولا والظروف الطارئة على هذا المكان ثانيا ، ثم نراها فى الإقليم الواحد بعينها تختلف على مر العصور ، كما قلنا ، فاذا لغة عصر غير لغة عصر آخر .

والأمر كما أحب أن أبينه أخيرا هو أن عناية الدارسين باللغة الدارجة هو عناية بالأدب ليس إلا ، عناية بتعرف حياة الأمة العربية بفكرها وحضارتها واجتماعياتها حينما نفقد أن نتعرف ذلك بلغتها السليمة عندما تضعف تلك اللغة ولا تعود تعبر عن حياة العصر أو الأمة أدبا وفكرا واجتماعا .

وهذا الدرس الذى سأخص به هذه العجالة هو درس لحياة أدب فى عصر من العصور التى لم تستقم فيها اللغة العربية الاستقامة كلها ولم تسد السيادة كلها ، وإنما كان عصر جرت فيه اللغة الأولى مع اللغة الثانية وكان يكتب بهذه ويكتب بتلك ،

وكما اتسعت اللغة الأولى لشيء من الحياة الأدبية والفكرية لذلك العصر اتسعت اللغة الثانية وأصبح لزاما على الدارس أن يتناول تلك الصفحة وتلك الصفحة .

وإن كنت قد وقفت على تعقب تلك الصفحة المدونة باللغة الدارجة لذا جعلتها فى دراسة ذلك الأديب « ابن سودون » الذى كان له أدب عربى وأدب عامى أن أدرس أدبه العامى تتمة لدراساتى فى هذا الميدان ، وسوف أطالعك فى هذه اللمحة الخاطفة عن بعض من هذا الجانب العامى فى ديوان ابن سودون وعن بعض من أدبه الذى دونه بتلك اللغة الدارجة ، إذ هو صفحات لابد منها لمن أراد أن يدرس ابن سودون دراسة كاملة . فما من شك فى أن الصفحات التى كتبها باللغة السليمة لاتترجم ترجمة كاملة لحياته الفكرية والأدبية ، كما أنها لاتترجم ترجمة كاملة لحياة ذلك العصر الفكرية والاجتماعية

وأحب قبل أن أنتقل بك إلى عرض نتاج ابن سودون باللغة الدارجة ، أحب قبل أن أقدم لك هذا أن أعرض لك صورة عن ذلك العصر الذى أظل ابن سودون وعاش ابن سودون فى كنفه يأخذ ويعطى ،وما من شك فى أن العصر والبيئة لهما أثر كبير فى شيوع اللغة الدارجة والتمكين لها ، فكلما انحط العصر علما وحضارة شاعت اللغة الدارجة ، وكلما ارتقى العصر علما وحضارة اختفت اللغة الدارجة أو كادت .

وهذا العصر الذى نشأ فيه شاعرنا ابن سودون هو العصر المعروف بالعصر المغولى ، وكما يكون الحاكم يكون المحكوم ، أو بطريقة أقرب إلى الإيضاح والبيان أن الحاكم هو الذى يفسح للحياة بألوانها المختلفة، هو الذى يمكن للغة أن تعيش وترقى وهو الذى يمكن للحضارة أن تزدهر وتونع ، وهو الذى يمكن للعلوم أن ترقى وتسمو ، والناس فى ظل هذا الحاكم أو ذاك هم الناس . ولكن الحكام هم الذين يشكلون الناس ويطبعونهم ، ولن يستطيع الناس أن يخرجوا على ما يفرضه عليهم الحكام إلا فى القليل ، إذ الأدب والعلم والحضارة مردها جميعا إلى أسلوب الحكم وطريقته ومنهجه ، فهذا الأسلوب الذى يتخذه الحاكم من الممكن أن يفسر للحياة الثقافية بألوانها المختلفة أن تمضى إلى الغايات الطيبة . ومن الممكن لهذا الأسلوب أن يسد الطريق ويقف حجر عثرة فى سبيل تلك الحياة الثقافية وتذهب محاولات الناس عبثا ولا تؤتى فى النادر إلا ثماراً قليلا . وهذا ما نعنيه بأنه كما يكون الحاكم يكون المحكوم ؛ إذ الحاكم فى يده جميع القوى الموجهة وفى يده إذا أوتى سلطاناً غاشما أن يكم الأفواه ويسكت الألسن وتوقف الأقلام ، وهل الثقافة فى شتى مظاهرها إلا ما تفوه به الأفواه وتتحرك به الألسنة وتجرى به الأقلام .

تلك قضية فى غنى عن البرهان ، ولكنى أحببت أن أسوق طرفاً من ذلك لأجمع القارىء معى على ما أنا داخل إليه . فالعصر المغولى ينتسب إلى فئة من الحكام كانوا بعيدين كل البعد فى جل حياتهم عن اللغة العربية وآدابها وعلومها لا يفهمون عن الأدباء ولا عن العلماء ولا عن المثقفين ، وقديماً كان الأدب وكان العلم وكانت الثقافة تحيا جميعاً بتشجيع الحكام وإغداق المنح والعطايا على كل نابغ بارز من الفئات المثقفة ، وإذ كان هؤلاء المغول وهم كانوا الحكام الذين يجهلون لغة القوم ولا يتذوقون أدبهم ، من أجل ذلك كسدت روح الأدب وخبت جذوة الفكر وانحطت الملكات وأخذ الناس يحرفون ألسنتهم بغير العربية ليلقن عنهم الحكام ، وكان هذا سبباً من الأسباب التى أشاعت اللحن فى العربية ثم كان سبباً آخر من الأسباب التى أشاعت عامية خاصة بذلك العصر ، فما من شك فى أن كل عصر له عاميته على وجه التقريب ، وأن هذه العامية تتأثر بمؤثرات خاصة يتميز بها ذلك العصر ، وأن هذه المميزات الخاصة تملى عامية بذاتها ، ونحن إذا درسنا عامية العصر المغولى نجد أنها تحوى لا شك ألفاظا لها طابع اللغة المغولية وفيها تراكيب تتفق ولغة المغول ، وما من شك أيضاً فى أن اللغة الدارجة لذلك العصر ضمت ألفاظاً كثيرة مغولية جرت على ألسنة الناس أولا ثم جرت على ألسنة الأدباء والكتاب بعد ذلك ، إذ الكتاب والأدباء كانوا يكتبون لهؤلاء الناس الذين امتزج كلامهم بكلام الحكام المغول وأخذوا عن المغول شيئاً وأصبحت تلك اللغة هى لغة ذلك العصر ، وهل يكتب الكتاب إلا لأهل عصرهم الذين يعاصرونهم ، وهل يرجو أهل العصر من كتابهم إلا أن يكتبوا لهم باللغة التى تجرى فى محيطهم ثم فوق هذا فان هؤلاء الكتاب كانوا ينظرون نظرة ثانية إلى الحكام ويأملون أن تبلغ تلك اللغة التى فيها خليط من المغولية إلى أسماع هؤلاء الحكام المغول فيفهمونها .

وإنا لو تتبعنا بهذا الأسلوب من الدرس اللغات الدارجة فى جميع العصور عصراً عصراً لاستطعنا أن نتبين بوضوح طابع ذلك العصر فى لغته الدارجة ، ففى عصر الفرنسيين مثلا فى مصر امتزجت اللغة الدارجة المصرية بكلمات وتراكيب فرنسية ، وفى أيام الاحتلال الإنجليزى امتزجت اللغة الدارجة المصرية بكلمات إنجليزية ، وفى عهد العثمانيين الأتراك شاعت كلمات وتراكيب كثيرة فى اللغة المصرية الدارجة ، وبهذا نستطيع إذا تصفحنا الأدب الدارج مع عصوره المختلفة أن نفصل بينه فصلا واضحاً ونرد كل طائفة منه إلى عصرها بذلك الطابع المميز وهو طابع الألفاظ والكلمات والتراكيب ثم قليلا من التكييف للجمل .

ونحن حين ندرس أدب ابن سودون الدارج لاشك واجدون هذا المظهر المميز وهو مظهر استخدام الألفاظ المغولية ، فما من شك فى أن هذا العصر المغولى أمد اللغة الدارجة بتلك الألفاظ التى كانت أقرب إلى فهم الحاكم وأيسر على لسان المتكلم كى يفهم الحاكم . ولو أن أدب ابن سودون كان مرفوعاً إلى الحكام لوجدناه مغولياً كله ، ولكنه كان أدباً للبيئة التى يحيا فيها ابن سودون . وهذه البيئة لم تصبح مغولية بحتة ولا قريبة من المغولية البحتة ، ولكنها كانت بيئة انحط فيها اللسان العربى فلم يعد ثمة إعراب ، واختفت فيها كثرة من الكلمات العربية بمعانيها العويصة الدقيقة وحلت محلها كثرة من الكلمات العربية السهلة اليسيرة الساذجة ، ثم جاءت قلة من الكلمات المغولية وامتزجت بتلك الكثرة السهلة غير المقومة وزناً ولا صرفا ولا إعراباً من الكلمات العربية ، وهذا هو طابع كل لغة دارجة لعصر من العصور تجد فيها ألفاظا غير عربية تفقد تصريفها الصحيح وتفقد بنيتها السليمة وتفقد إعرابها الصواب ، ثم تجد تراكيب تفقد الأسلوب النحوى والبيانى والبلاغى . فاذا أنت بين يدى لغة عربية غير عربية ، عربية فى القليل من حيث المظهر العام . غير عربية فى الكثير من حيث هذا التحوير والتبديل والتغيير . ومع هذه الكثرة العربية غير العربية تجد ألفاظا من لغة الداخلين على الأمة العربية فى ذلك العصر . فان كانوا أتراكا فثمة ألفاظا تركية ، وإن كانوا فرساً فثمة ألفاظا فارسية وهكذا . وإذ كانوا حكام عصر ابن سودون مغولا فقد كانت تلك الألفاظ التى مازجت الكثرة العربية غير العربية مغولية ، وهذا ما سوف نتقصاه فى عرضنا بهذا الأسلوب الجديد الذى أرجو أن يكون أسلوب كل دارس للأدب الدارج أو الأدب الشعبى لتكون الدراسة جزءاً من حياة الناس تجارى تاريخهم وتعكس حياتهم وتكون دليلا على أن هذا الأدب من نتاج العصر الذى ندرسه . ومن هنا نستطيع أن نحكم حكما صادقاً على كل أدب دارج ونرده فى غير تردد إلى عصره الذى أنتجه دون سواه .

وبعض الشعر الذى نقدمه هنا يتميز بشىء آخر غير الشعر ، فلقد كان ابن سودون موسيقيا ، نعرف أنه كان على إلمام بتقاسيم الغناء وأوزانه ونغماته ومسمياته ومدلولاته ، وقد يكون إلى جانب هذا يحذق لوناً من ألوان الضرب أو العزف أو النفخ ، ولكن الشىء المسلم به أنه كان على بصيرة بأسماء الضروب الموسيقية ، وقد جعل موشحاته على نظام الضروب فجعل كل موشحة من ضرب معين بذاته .

والموشحة إذا جاءت على هذا النحو تتفق والضرب الموسيقى كانت أخف وقعاً وأقبل فى السماع ، ولعل هذا هو الذى قصد إليه ابن سودون . والموشحة كما نظن أنه رآها شىء خاص بالغناء وحده ، وليست

من الشعر الذى يترنم به قولا ، بل هى فى نظره من الشعر الذى يترنم به غناء ، من أجل ذلك اختار لها أن تكون على ضروب الغناء ، واختار لكل موشحة ضرباً بعينه ثم قاس الكلمات على هذا الضرب تماماً كما يفعل الموسيقى يختار للنغمات الألفاظ المناسبة حتى يكون ثمة تواؤم بين اللفظ والموسيقى ، وسنعرض لك أول ما نعرض هذه الموشحات فهى وسط بين العامية والفصيحة ، إلا أن الموشحات وإن كانت وسطا بين الفصيح والعامية فهى أيضاً ذات طابع غنائى من أجل ذلك كانت أقرب إلى لغة الناس وإن جاءت فصيحة فى بعض مظاهرها ، فتلك المرحلة الوسطى وهذا القرب من لغة الناس هما اللذان جعلانى أميل إلى عد الموشحات من الشعر الدارج وأبدأ بها الحديث عن ابن سودون .

والموشحات التى عرض لها ابن سودون من النوع الذى لا تلتزم الموشحة فيه بمجموعها بغرض واحد بعينه بل كانت تتوزع بين أغراض مختلفة فاذا هى قد جمعت شيئاً من هنا وشيئاً من هناك ينطلق فيها الشاعر أو الموشح على الأصح وهو قائل الموشحة على سجيته يملى عليه خاطره ما يعن له شأنه فى ذلك شأن أصحاب المواويل فى وقتنا الحاضر حين يجتمعون لا على نوع بعينه ، وإنما تنطلق فيه النفوس على سجاياها لا تلتزم بقيد ما ، ولا نزال إلى اليوم نسمى هذا اللون من الإنشاد الهبالى أى الذى يهتبل فيه القائل غير مقيد . وهذا اللون الهبالى الذى لازلنا نستخدمه إلى اليوم يرجع إلى عصر ابن سودون ، وقد يمتد فى القدم إلى أبعد من عصر ابن سودون .

وما من شك فى أن هذا اللون الحر أعنى المطلق معنى وقافية ، إذ كل معنى جديد كان يستلزم تقنية جديدة وقد يتقيد بها الشاعر وقد لا يتقيد .

ولقد جعل ابن سودون موشحاته كلها من هذا اللون الهبالى ليكون أطلق فكرا وأطلق قلما من أن يتقيد وزنا ولا أن يتقيد بمعنى بذاته . والغريب أنه إذا أحل نفسه من هذين القيدين قيد نفسه بقيد من الموسيقى لا يحيد عنه فثمة من الموشحات ما هو على وزن الرهاوى أو على وزن الحسينى أو على وزن السيكاه أو على وزن الدوكاه أو على وزن الأصفهانى أو على وزن الموالياً إلى غير ذلك من تلك الضروب الموسيقية المختلفة ، وهذا يعنى أن ابن سودون كان ضليعا فى الموسيقى تجرى فى دمه أكثر من جريان المعانى والبحور الشعرية بقوافيها . ويعنينى هنا أن أسوق إليك ما جاء على وزن الرهاوى وسأتبع فى مقال آخر إن شاء الله باقى موشحاته مقسما إياها على ضروبها الموسيقية حتى لا يفسد عليك موسيقى الموشحة الانتقال من وزن موسيقى إلى غيره ، بل أنا بهذا التقسيم ضامن أنك لن تخرج معى من وزن إلى غيره إلا إذا استنفدت جميع الموشحات التى جاءت عليه وأكون بهذا التبويب أيضا قد يسرت على المغنين من العصر الحديث

الذين تتوق نفوسهم إلى لون بذاته من الموسيقى إذ سوف يرون قطع كل لون مجموعة فى صعيد واحد .

وعلى هذا التقسيم الذى قدمته أبدأ بسوق ما جاء على وزن الرهاوى فمن ذلك قول ابن سودون :

حين صفا منى ضميرى صار بالحلو سرورى
وأنا راض بهذا هكذا حال الفقير

فى حياتى ومماتى وانبساطى وانقباضى وذهابى وإيابى
وارتفاعى وانخفاضى لست بالحامض أرضى وأنا بالحلو راضى

كلما أمر مسير قد خال خلفو مسيرى
وأنا راض بهذا هكذا حال الفقير

يا مسيطيل آه ببختك بالهنا يا طيب العيش إن أتى صاحى ولامك
كابر واقرا لو ليش ليش واحذر الجوع وعبّى من صنوف الأكل لوجيش

واترك البيض تحطم ما ألقته فى الثغور
ولتكن ترضى بهذا هكذا حال الفقير

يا أهيلى عند موتى كفنونى بالكنايف واجعلوا السكر خيوطى
واعملوا البانيد لفايف وانفشونى فى المنيفيش وادفنونى فى القطايف

وإن دفنتوا لى مويزات مع عسل مصرى تريرى
فأنا ما انغاظ ولا شى هكذا حال الفقير

وأحب أن أقف بك وقفة قصيرة مع هذه الموشحة الأولى من الوزن الزهاوى فهذا الوزن كالموسيقى يقتضى تقسيمات خاصة إذ يبدأ الموشح فيه برباعية أعنى بأربعة أشطار كل شطرين يكون بيتاً ، البيت الأول منهما يلتزم فيه التصريع والبيت الثانى الذى لا يلتزم فيه التصريع يكاد يتكرر بعينه فى تلك الرباعية . وفى أعقاب كل رباعية ينبسط الوزن شيئاً فيجىء ثنائية كل من طرفيها فى ثلاثة أشطار فيكون مجموع هذه الأشطار فى تلك الثنائية ستة . وكما سبقنا فقلنا إن الأولى التى هى تمهيد رباعية أعنى مكونة من أربعة أشطار فنحب أن نلتزم بهذا القيد من حيث التقسيم فنسمى هذه الثانية سداسية لا ثنائية كما قلنا لتكونها من ستة أشطار ، وهكذا سنمضى فنجعل مع جميع الموشحات لا نجعل أساسنا

فى التسمية النظرة إلى الأبيات بل النظرة إلى الأشطار .

فالرهاوى وهو كما يملى اسمه الانطلاق من الضيق إلى الانبساط ومن القلة إلى الكثرة أعنى الانطلاق من الكلام المضغوط إلى الكلام المنبسط ومن سطرين ذوى أربعة أشطار إلى سطرين يفوقانهما طولا ذاتى ستة أشطار . أما عن الأوزان فتكاد تكون الأشطار كلها على قياس واحد وإن كان يبدو بعضها خارجاً على ذلك القياس ، فهذا مرده إلى أن اللغة الدارجة لا تخضع لضبط واحد على ألسنة المتكلمين بها جميعاً فهى من أجل ذلك تبدو أشطارها غير مقيسة ، أعنى أنها على غير قياس واحد .

هذا من حيث الوزن الرهاوى هو رباعية الأشطار تتلوها سداسية الأشطار مع التزام البيت الثانى من المطلع بشطريه إلى آخر الموشحة تقريباً .

والملاحظ أن ابن سودون يدور كثيراً فى موشحته الرهاوية هذه حول الطعام واللباس فيزودنا بأسماء مختلفة من هذا وذاك منها ما لا يزال مستعملا إلى اليوم ومنها ما اختفى. وهذا هو وجه من وجوه العناية باللغة الدارجة ، فنحن نصطدم أول ما نصطدم بألفاظ من هذا النوع التى غابت عنا والتى تحتاج إلى شروح .

ومن تلك الألفاظ التى فى الطعام والتى تضمنتها تلك الموشحة الكنائف وهو يعنى الكنافة غير أنه جمع ، وكذلك القطايف . هذا عن الألفاظ التى لا تزال مستعملة ، أما عن غيرها مما غاب ولم يبق مستعملا فمنه البانيد ويظهر أنه يريد به الرقائق ثم المنيفيش ولا ندرى ماذا يريد به ابن سودون وإن كان اللفظ يوحى بأنه لون من ألوان الطعام ينفش .

والطابع الغالب على هذه الموشحة وكان لاشك طابع ابن سودون الشكوى والتحسر والتوجع من حال الفقر ، ولقد كان ابن سودون فى هذا يعبر لا عن حاله وحده ، بل كان فى ذلك يصف حال المجتمع الذى يعيش فيه وكل ما سيطالعك من هذا من شكوى وحسرة وأسى ، فابن سودون فيه واصف حال المجتمع الذى يعيش فى ظله ومعبر عما كانت عليه الحال حينذاك ، وقد كان هذا لا شك سبباً آخر من الأسباب التى تحفز إلى دراسة ابن سودون ودراسة آثاره سواء فى ذلك ما كانت بالفصحى أو بالدارجة ، بل إنا لا نكاد نرى أن ابن سودون فى الدارجة أكثر بياناً وإفصاحاً.

وأظننى بعد أن قدمت لك لونا من هذا الوزن الرهاوى أكون فى حل من أن أسوق لك على وزنه ألواناً أخرى منه ، إذ الوزن الرهاوى ليس كله على هذا الوزن الذى قدمته إذ منه ما يجىء تساعياً أعنى من ثلاثة أسطر كل سطر منها ثلاثة أشطار ، ثم يفصل بين كل مجموعة تساعية بشطر واحد لا غير ، كما أن منه ما يجىء تساعياً ثم ثلاثياً مفرداً ثم تساعياً مرة أخرى ثم مفرداً

ثم ثلاثياً ، ومنه ما يجيء سداسياً ثم رباعياً ، ثم رباعياً ، وهكذا إلى آخر الموشحة، فمن ومنه ما يجيء ثلاثياً ثم مفرداً ، ومنه مايجيء النوع الأول وهو التساعى ثم المفرد على عكس هذا مفرداً ثم ثنائياً ثم مفرداً قوله :

ما أحسن النـنى بتختو حين يقوم بفتح عيونو ويناغى أمـو ويلعب
فى البريز وّيا فنينو لو عمـل هـذا كبير سـقعوا والله دقينو
ما أحسنو من فوق ثيابو مريليـه عـلى صديرى وقبيعو فيـه خريزات
فى شريبـات حرير

لو حديث وضحك ما أحلاه إن تحـدث أو تبسم إن عطش يقول امبوه
ويقول إن جاع نمـنم ويقـول تنـو وننو إن تقاعد أو تقـوم
وبسيس إن خـطر لو فى التخوت والحجورى لا يخـاف ولا يبـالى
من صغير ولا كبير

ومن النوع الثانى وهو السداسى ثم الثلاثى ثم المفرد قوله :

فى الغطاس رأيت صغير ومعـو فانوس مزوق
وعليـه نرجس وتفـاح ما أظرفـو والله يشـوق
واسمعـوا يقول لاختـه مالك مشـلو فـتزعق
يا بنى خذ لى فوينيس مثـل نحى ذا الصغـير قال لهـا نعم يا بابا
وعلى هذا ضرورى

ورأيت فى الضو قنيفد من عجين وهو صغير

وجاه بياع ينادى الحلاوه يا صغير

فانغبنت انا كمنى جانى الصيام وأنا كبير

وأنا الآخر جعارة

فى الصغار أكل صحورى أى ولو كانت كنافه بيتوها فى نجورى

محمد قنديل البقلى